

نحو علم للفاعليّة

ملخص الورقة البحثية التي قدمت في مؤتمر ترقية الوعي البشري

سانديفو - الولايات المتحدة، 2005

الشيخ محمد الشيخ *



1- تعريفات

أ - الفاعليّة: لغويّاً تعني المبادأة، التجاوز والإبداع. واصطلاحاً تعني القدرة على الإنتاج والإثراء الشامل للحياة.

ب - التتميميّة: تعني أن تتحقّق هويّة الظاهرة من خلال تنام أو تكامل الأضداد، ولكن ليس أنيّا بل وفقاً لشروط معطاة. بذات تشكّل التتميميّة أساساً جديداً للمعرفة البشرية وتوسّع وعي التنوّع والاختلاف.

2- فروض علم الفاعليّة:

أ- الطبيعة التتميميّة للكون.

ب- الطبيعة التراكيبيّة للعقل.

ج- الطبيعة التتميميّة للمعرفة

3- انطولوجيا الفاعليّة (نظريّة الوجود):

تختص المادة بخاصّتين تتميميّتين: موجات المادة عند الكثافة الهائلة للكتلة وذبذبات المعلومات عند الكثافة الهائلة للمعلومات. تسمح هذه الفرضيّة بتوسيع الأساس الأنطولوجي للفيزياء المعاصرة، فنحصل على ما أسمّيه فيزياء معمّمة. في إطار الفيزياء المعمّمة تستدمج دالة السعة (نظام شرودنجر) موجات المادة عند الكثافة الهائلة للكتلة

لتصف ظاهرات الجماد (وهو موضوع الفيزياء المعاصرة). أو تستدمج دالة السعة ذبذبات المعلومات عند الكثافة الهائلة للمعلومات لتصف ظاهرة الحياة. عندئذ تنبثق ظاهرة الحياة وما تختص به من فاعليّة عند الكثافة الهائلة للمعلومات. ويتحقّق القصور للمادّة عند غياب الفاعليّة، أي عند غياب الحياة. تتحقّق الفاعليّة بيولوجيًا من خلال تطوّر الشعبة ومن خلال نشاط الأنساق البيئيّة حيث يتجسّد الإبداع والعطاء والإثراء الشامل للحياة.

4- تركيب العقل: أدّى تطوّر معماريّة الدماغ البشري إلى أن تنتزّل الفاعليّة من خاصيّة تتعلّق بتطوّر الشعبة إلى خاصيّة تتعلّق بتطوّر النوع البشري. كما أدّى تطوّر معماريّة الدماغ إلى أن تتجسّد الفاعليّة من خلال بنيات للعقل تدعم الغرائز الأساسيّة للبقاء. فأصبح العقل البشري يتركّب من ثلاث بنيات: أ – بنية العقل التناسلي (القاعدي) التي تعطي الأهميّة والأوليّة للبقاء عبر التناسل، فيعي الإنسان ذاته كائنًا وظيفته التناسل. ب – بنية العقل الماديّ والتي تعطي الأوليّة لإنتاج واستحواذ الخيرات الماديّة، ومن ثمّ يعي الإنسان ذاته كائنًا ماديًا واقتصاديًا. ج – بنية العقل الخلاق والتي يعي الإنسان من خلالها ذاته كائنًا وظيفته الحب والعطاء الشامل. الجدير بالذكر تعتبر كلّ من البنية التناسليّة (القاعديّة) والبنية الماديّة (البرجوازيّة) متدنيّة الفاعليّة، لأنّ برامجها للعطاء مغلقة، بينما البنية المفتوحة مرتقيّة الفاعليّة هي بنية العقل الخلاق. أيضًا تجدر الإشارة إلى أنّ كلّ فرد من أفراد المجتمع يحتاز البنيات الثلاث.

5- الطبيعة الإنسانيّة:

الإنسان ذو طبيعة تنميميّة: داروينيّة عند تدنيّ الفاعليّة طابعها الأنانية والعنف والاستبداد، وإنسانيّة عند ارتقاء الفاعليّة طابعها الحب والإبداع والعطاء الشامل.

6- نظريّة معرفة الفاعليّة (نظريّة المعرفة التتميميّة): المعرفة هي ناتج علاقة تركيب العقل بالوجود، أي أنّ المعرفة دالّة في متغيّرين هما تركيب العقل والوجود. عندئذ يتجلّى وعي القصور عند تدنيّ الفاعليّة، ويتجلّى وعي الفاعليّة عند ارتقاء الفاعليّة. عند تدنيّ الفاعليّة يكون الوعي انعكاساً لشروط الحياة الماديّة، أمّا عند ارتقاء الفاعليّة يتجلّى الدور التأسيسي للذات.

7- **التحليل الفاعلي:** منهج يحل فاعلية الأفراد والمجتمعات والنصوص. ويقصد بذلك الكشف عن نمو وتفاعل بنيات العقل من خلال الاستجابة لتحديات الوجود الاجتماعي.

8- **آلية نمو الفاعلية:** أ- التحدي، ب- تصدع بنية العقل السائدة، ج- الاستجابة، ويقصد بها الانفلات من بنية العقل السائدة بمشروع والدفاع عن المشروع.

9- **سيكولوجيا الفاعلية:** تحدث التعاسة والضغط النفسي عندما ينهار مشروع البنية المستدمجة دون احتياز مشروع بديل. ويحدث الاغتراب حينما ينفلت المرء من البنية السائدة بلا مشروع أو يجبن عن رعاية المشروع، فيصبح بلا هوية فاعلية- أي بلا هوية. ويكون من ثم عرضة للشعور بالعجز وفقدان السيطرة، اللامعنى، اللامعيارية، الانعزال الاجتماعي و الغربة النفسية.

10- **سوسيولوجيا الفاعلية:**

البناء الاجتماعي هو نسق تراكب بنيات العقل من خلال سيادة إحداهن. ينجم عن ذلك بناء اجتماعي تناسلي أو برجوازي أو خلاق. عندئذ يكون التغيير الاجتماعي هو الانتقال من بنية سائدة إلى أخرى. ويتحقق حينما تتوفر القوى الاجتماعية الجديدة الحاملة للوعي البديل.

11- **حركة التاريخ:** تنشأ حركة التاريخ من خلال العلاقات الديناميكية لبني العقل، فيتولد فضاء الفاعلية.

12- **فضاء الفاعلية:** يتشكل فضاء الفاعلية من الفضاءات الجزئية لكل من البنية التناسلية والبرجوازية والخلافة. حيث يشكل الفضاءان الجزئيان للبنية التناسلية والبرجوازية بحكم تدني فاعليتهما ما نسميه بالفضاء الدارويني، ونقصر تسمية فضاء الفاعلية على الفضاء الجزئي الذي تسوده البنية الخلافة.

13- **نظرية الثقافة:** الثقافة بوصفها جاهزية معرفية لأجل إنتاج وإبداع الوسائل المادية والقيم الروحية، أي فاعلية، تتحقق من خلال تراكب الخطاب التناسلي والبرجوازي

والخلاق. إذن لا تختلف الثقافات من حيث التركيب، بل تختلف وفقاً لطبيعة الخطاب السائد. ينطوي كل خطاب على دال مركزي، مرجعية قيمية ووعي للذات.

14- النظرية السياسية:

نظام الحكم هو انعكاس للخصائص التكوينية للبناء الاجتماعي، عليه لن تسود القيم الكونية، قيم الحرية والعدالة والمساواة والتسامح في فضاء دارويني، لهذا السبب اعتبرت المدينة الفاضلة يوتوبيا. من أهم المتطلبات بغية الانتقال إلى فضاء الفاعلية: (أ) دال مركزي جديد (ب) وجدان كوني (ج) مشروع حضاري بديل (د) القوى الاجتماعية الحاملة للمشروع.

15- نظرية الأدب:

الأدب هو بنية فاعلية لغوية تخيلية، أي تنتمي إلى فضاء فاعلية تخيلي، وذلك نتيجة لتماهي بنية العقل وبنية اللغة. عندئذ تنشأ أدبية الأدب بوصفها ناتج علاقة الاستخدام الفني للغة وعلاقات الفاعلية داخل النص.

16- من هو الإنسان (أي الإنسان الخلاق)؟: هو من يجسد القانون الأساسي للحياة، قانون الفاعلية، يجعل الحب الكوني - حب يتعدى حدود العرق والدين والجغرافيا- والعطاء الكوني مشروعاً وهدفاً للحياة، وثابر على تنمية المشروع.

* الشيخ محمد الشيخ، كاتب وأكاديمي سوداني، مبتكر التحليل الفاعلي، مبتكر النظرية الفيزيائية المعممة، رئيس قسم الرياضيات، كلية العلوم، جامعة التحدي، سرت، ليبيا. هاتف:

00218913716820

للمزيد من المعلومات أنظر: موقع مركز دراسات الفاعلية www.faeeliya.org